م 4

الممالك البربرية بالمغرب القديم

- كان نشوء هذه الممالك ذا طابع قبلي محض، لقد كانت القبائل البربرية المتجاورة تتحد في حلف قبلي كبير.
- لذا يرى البعض أن أعمارها لم تكن بالطويلة، يستثنى من ذلك التحالفات القائمة بين القبائل المشتركة في وحدة جغرافية متشابهة، أو استعملت لهجة لغوية واحدة.
- وبطول هذه الوحدة كانت القبائل تتحد في شكل ممالك قوية، ذات فروع قبلية، بقيادة رئيس قبلي قوي، تدعمه ربما سلطة دينية.
- ذكر هيرودوت بعض هذه الأحلاف الكبرى في الناحية الليبية، الممتدة إلى الناحية التونسية، كـ: النازاموس، و الماسيليس،و الجندنيس....
- وتستمر هذه القبائل المغربية على طول البلاد إلى غربيها.
- وانتقلت هذه القبائل من تجمع الأحلاف إلى تجمع الممالك (**دولة القبيلة**)؛ غير أن هذا الانتقال ليس لنا فيه تاريخا، وإن كانت المصادر تشير إلى وجود ممالك بربرية منذ عهد عليسة وقبلها، أي القرن التاسع (ق.م.).
- وفي الفترة القرطاجية تواجدت ثلاثة ممالك كبرى ببلاد المغرب.

أ- المملكة المورية:

- وكان يسمي أهلها الإغريق واللاتين بـ "الموروزيين"و"المَاوري"، وكذا سماهم البربر أنفسهم. واختلف في أصل هذه التسمية؛ ويذكر المؤرخ "بوشار" أن أصل الكلمة فينيقي، وهو "مهو حرم"، وتعني الغربيون.
- وأصبحت هذه المملكة تعرف عند الإغريق بـموريتانيا.
- ويبدو أن هذه المملكة قد ظهرت منذ القرن الرابع (ق.م.)، وربما قبل ذلك.
- ويذكر لنا في نهاية القرن 03 ق.م. اسم ملكها "باغا"، ثم ملكها بوخوس صهر الملك يوغرطان.
- لقد كانت حدود هذه المملكة –المتغيرة كثيرا- تمتد من المحيط والساحل المتوسطي دون أن تتوغل كثيرا في الداخل، وتنتهي عند نهر الملوية، الذي مثل حدا فاصلا بينها وبين البلاد النوميدية.

ب- الممالك النوميدية:

- أما كلمة نوميدي فهي كلمة تميز أجناسا من البربر، استعملها المؤرخ "بولبيوس"، بل وجدت قبله في القرن الخامس (ق.م.). واصل الاسم إغريقي، ويعني "البدو الرحل".
- لقد تأسست من الأحلاف القبلية للبلاد النوميدية مملكتان كبريان، وهما مملكتا الماسيل والماسيسيل.
- **الماسيسيل:** هي قبيلة كانت معروفة في البلاد المورية، ذكر "بلين القديم" أنها انقرضت بسبب الحروب، ونزل بلادها الجيتول، ونزح بعضها إلى غرب الجزائر الآن، حيث أسسوا مملكتهم.
- وبدأ اسمهم يظهر في الكتابات التاريخية منذ الحرب البونية الأولى، وعليهم ملكهم "سفاقص".
- وحد سترابون حدودها من نهر الملوية إلى رأس تريتون وهو رأس بوقرون في الشمال القسطنطيني، وكانت عاصمتها "سيغا" قرب نهر التافنة، ثم تحولت إلى "سرتة".
- ويذكر سترابون أن هذه المملكة كانت غنية جدا، تمول البلاد المغربية وغيرها بالفضة والجنود.
- **الماسيـــل:** هي قبيلة أيضا لا تعرف منازلها القديمة على وجه التحديد، وإن ذكر إيزيدور الإشبيلي أنها كانت جبال الأطلس المغربي، حيث كانت توجد مدينة ماسليا، ويذكر بلين القديم منازلها بالإقليم الإفريقي.
- ويبدأ ذكرها في الحرب البونية الأولى، كما عرف ملكها "غايا" في اثناء الحرب البونية الثانية.
- وفيما ذكر سترابون أن حدود هذه المملكة تبدأ من نهاية نهر "لمبساغا" الواقع جنوب غرب رأس تريتون، وتنتهي عند الحدود التونسية لقرطاجة.
- يبدو أنها انكمشت بعد التوسع القرطاجي على حسابها، ثم ستعود للتوسع زمن ماسينيسان، استطاع توحيد المملكتين النوميديتين بعد الحرب البونية الثانية (152 ق.م.).
- وكانت عاصمة المملكة القديمة "هيبورغيوس" أو زاما، ثم ستصبح سيرتة.

- كانت هذه المملكة أكثر اتحادا، فسكانها أكثر ارتباطا بالأرض، ومدنها أكثر عددا، وبلغت درجة أحسن من غيرها في الحضارة.
- **قبائل الجيتول:** ظهر جنوب هذه الممالك جنس قوي من قبائل الجيتول المغرقة في البداوة، ويبدو أن اسم هذا الحلف القبلي كان علما لقبيلة واحد توسع ليشمل قبائل أخرى؛ لاشتراكها في طبيعة الحياة.
- ورغم قوة هذا الحلف القبلي فإنه لم يسعى لتأسيس مملكة تجمعها لغلبة البداوة عليه.
- كانت منازلها المنطقة الجنوبية الشاسعة الممتدة من أقصى شرقي ليبيا إلى المحيط الغربي.
- خصوصيات عامة:
- كان المُلك يعود إلى الرجل القوي المحارب، وكان ملكه يورث داخل الأسرة المؤسسة لحلف القبيلة، فيتم انتقالا إلى أكبر رجل من زواج شرعي في العائلة المالكة.
- وكانت المملكة تتشكل من حلف قبلي غير قوي الروابط دائما؛ إذ كثيرا ما كانت تغير القبائل من ولائها لممالك أخرى، وقد يستقل بعضها بذاته.
- وكان الملك يحمل لقب إقليد، واشتهر من هؤلاء الملوك على وجه الخصوص:
- **سيفاقص:** كان أول الملوك ذكرا، يتربع على مملكة الماسيسيل، قد ربط مع قرطاجة روابط قوية، وصاهرهم. وتشبه هذا الملك بالملوك الإغريق، فوضع التاج الحلقي على رأسه، وسك صورته في عملته، التي كان ربما أول من ضربها بالمغرب.
- **ماسينيسان:** كان أعظم ملوك البربر، أكثرهم ملكا وأوسعهم أرضا، وأقواهم جيشا، الذي نظمه على الطريقة الرومانية، واحسنهم إدارة لملكه، وأقواهم إقتصادا، اسس أكبر أسرة حاكمة.
- عرفت هذه الممالك البربرية حروبا كثيرة، حروبا محلية أتت في طريق التوسع، وفي طريق نزاعاتها القبلية.